٢ ر.س

نُورُ التَّوحِيدِ

وَظُلُمَاتُ الشِّرْكِ

فِي ضَوْءِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ



تأليف الفقير إلى الله تعالى

الدكتور سعيد بن علي بن وهف القحطاني

ح سعيد بن علي بن وهف القحطاني، ١٤٢١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية

القحطاني ، سعيد بن علي بن وهف.
نور التوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسنة. ط ٣ ـ الرياض.
٩٦ ص ؛ ١٢ × ١٧ سم
ردمك : ٩ - ٤٥٦ - ٣٦ - ٩٩٦٠
١- التوحيد ٢- الشرك بالله
أ - العنوان
ديوي ٢٤٠ ٢٠/٢٩٨٧

رقم الإيداع: ٢٠/٢٩٨٧
ردمك: ٩ - ٤٥٦ - ٣٦ - ٩٩٦٠

الطبعة الثالثة

محرم ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقـدمة

إن الحمـــد لله، نحمـــده، ونستعينـــه، ونستغفـره، ونعـوذ بـالله مـن شرور أنفسنـا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد:

فهـذه رسـالـة مختصرة في: «نور التوحيد وظلمات الشرك»، بينت فيها: مفهوم التوحيد وأدلتـه، وأنواعـه، وثمراته، ومفهوم الشرك، وأدلـة إبطالـه، والشفاعـة: المنفية، والمثبتة،

وأسباب ووسائلِ الشرك، وأنواعه، وأقسامه، وأضراره وآثاره.

ولاشك أن التوحيد نور يوفق الله له من يشاء من عباده، والشرك ظلمات بعضها فوق بعض يُزيَّن للكافرين قال الله عز وجل: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١)، وقد بين الله عز وجل أنه أنزل على محمد ﷺ الآيات الواضحات والدلائل الباهرات، وأعظمها القرآن الكريم؛ ليخرج الناس بإرسال الرسول ﷺ وبما أنزل عليه من الكتاب والحكمة: من ظلمات الضلالة والشرك، والجهل، إلى نور الإيمان والتوحيد، والعلم والهدى، قال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٢٢.

﴿لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[١] .

وقد قسمت البحث إلى مبحثين، وتحت كل مبحث مطالب على النحو الآتي :

المبحث الأول: نور التوحيد:

المطلب الأول: مفهوم التوحيد.

المطلب الثاني: البراهين في إثبات التوحيد.

المطلب الثالث: أنواع التوحيد.

المطلب الرابع: ثمرات التوحيد وفوائده.

المبحث الثاني: ظلمات الشرك:

المطلب الأول: مفهوم الشرك.

المطلب الثاني: أدلة إبطال الشرك.

المطلب الثالث: الشفاعة المنفية والمثبتة.

المطلب الرابع: مسبغ النعم المستحق للعبادة.

المطلب الخامس: أسباب ووسائل الشرك.

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٩ .

المطلب السادس: أنواع الشرك وأقسامه.
المطلب السابع: أضرار الشرك وآثاره.

والله سبحانه أسأل باسمه الأعظم الذي إذا سُئِلَ به أعطى أن يجعل هذا العمل القليل مباركاً خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في حياتي وبعد مماتي، وأن ينفع به كل من انتهى إليه؛ فإنه عز وجل خير مسؤول، وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله الأمين، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المؤلف

حرر في ظهر يوم الثلاثاء الموافق ١٦ / ١٠ / ١٤١٩هـ

المبحث الأول: نور التوحيد

○ المطلب الأول: مفهوم التوحيد:

التوحيد المطلق، هو: العلم والاعتراف المقرون بالاعتقاد الجازم، بتفرد الله عز وجل بالأسماء الحسنى، وتوحده بصفات الكمال، والعظمة والجلال، وإفراده وحده بالعبادة[1]، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾[2] قال العلامة السعدي رحمه الله: «أي متوحد منفرد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فليس له شريك: في ذاته، ولا سمي له ولا كفو، ولا مثل، ولا نظير، ولا خالق ولا مدبر غيره؛ فإذا كان كذلك فهو المستحق، لأن يؤله ويعبد بجميع أنواع العبادة، ولا يشرك به أحد من خلقه»(٣).

---

(١) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد، للسعدي، ص١٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٣.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٦٠.

○ الطلب الثاني: البراهين الساطعات في إثبات التوحيد:

البراهين الساطعات، والبينات الواضحات في كتاب الله عز وجل، وفي سنة النبي ﷺ على إثبات التوحيد كثيرة لا تحصر، ولكن منها على سبيل المثال ما يأتي:

١- قال الله عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾(١) والمعنى: ما خلقت الجن والإنس إلا ليوحدونِ(٢) .

٢- وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ

(١) سورة الذاريات، الآيات: ٥٦-٥٨.
(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم، للقرطبي، ١٧/ ٥٧.

عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ ﴾[١] يخبر الله عز وجل أن حجته قامت على جميع الأمم، وأنه ما من أمة متقدمة، أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولاً، وكلهم متفقون على دعوة واحدة، ودين واحد، وهو: عبادة الله وحده لا شريك له، فانقسمت الأمم بحسب استجابتها لدعوة الرسل قمسين ﴿ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ فاتبعوا المرسلين، ﴿ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ ﴾ فاتبع سبيل الغي[٢].

٣- وقال عز وجل: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾[٣] فكل الرسل عليهم الصلاة والسلام قبل النبي ﷺ: زبدة رسالتهم وأصلها،

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٦.
(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٣٩٣.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وبيان أنه الإله الحق المعبود، وأن عبادة ما سواه باطلة[١]؛ ولهذا قال الله عز وجل: ﴿وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾[٢].

٤- وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[٣] فالله عز وجل قضى، ووصّىٰ، وحكم، وأمر بالتوحيد فقال ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ قضاءً دينياً، وأمراً شرعياً، ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟﴾ أحداً: من أهل الأرض والسموات، الأحياء، والأموات، ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ لأنه الواحد الأحد، الفرد الصمد[٤].

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١٨/ ٤٢٧، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٤٧٠.
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٤٥.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٢٣.
(٤) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١٧/ ٤١٣،=

٥- والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يقولون لأممهم ﴿ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾[1] والمعنى اعبدوا الله وحده؛ لأنه الخالق الرازق، المدبر لجميع الأمور، وما سواه مخلوق مُدبَّر ليس له من الأمر شيء[2] .

٦- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[3] .

٧- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[4] أمر الله عز وجل

= وتفسير القرآن العظيم، لابن كثير، ٣/ ٣٤، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٤٠٧ .

(١) سورة الأعراف، الآية، ٥٩، ٦٥ .

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٢٥٥ .

(٣) سورة البينة، الآية: ٥ .

(٤) سورة الأنعام، الآيتان: ١٦٢-١٦٣ .

نبيه محمداً ﷺ أن يقول للمشركين: إن صلاتي وذبحي، وحياتي وما آتيه فيها، وما يجريه الله عليَّ وما يقدر علي في الجميع لله رب العالمين، لا شريك له في العبادة، كما أنه لا شريك له في الملك والتدبير، وبذلك أمرني ربي، وأنا أول من أقرَّ، وأذعن، وخضع من هذه الأمة لربه[١] .

٨- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «**يا معاذ هل تدري ما حق الله على عباده**»؟ قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً**» ثم سار ساعة ثم قال: «**يا معاذ، هل تدري ما حق العباد على الله إذا فعلوه**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**حق العباد على الله أن لا يعذب من**

---

(١) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، للطبري، ١٢/ ٢٨٣، وتيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٢٤٥.

لا يشرك به شيئاً»[١] ، وهذا الحديث العظيم يبين أن حق الله على عباده أن يعبدوه وحده لا شريك له بما شرعه لهم من العبادات، ولا يشركوا معه غيره، وأن حق العباد على الله عز وجل أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً، ولاشك أن حق العباد على الله: هو ما وعدهم به من الثواب، فحق ذلك ووجب بحكم وعده الصدق، وقوله الحق، الذي لا يجوز عليه الكذب في الخبر، ولا الخلف في الوعد، فهو حق جعله الله سبحانه على نفسه، تفضلاً وكرماً، فهو سبحانه الذي أوجب على نفسه حقاً لعباده المؤمنين، كما حرم الظلم على نفسه، لم يوجب ذلك مخلوق عليه، ولا يقاس بمخلوقاته، بل هو بحكم رحمته،

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب اللباس، باب إرداف الرجل خلف الرجل، ٧/ ٨٩، برقم ٥٩٦٧، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة، قطعاً، ١/ ٥٨، برقم ٣٠، واللفظ للبخاري برقم ٢٨٥٦، ورقم ٦٥٠٠.

وعدله، كتب على نفسه الرحمة، وحرم على نفسه الظلم.[١]

٩- وعن عتبان بن مالك رضي الله عنه، يرفعه إلى النبي ﷺ: «... **فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**»[٢].

○ المطلب الثالث: أنواع التوحيد:

الله سبحانه وتعالى: هو ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، فإفراده تعالى وحده بالعبادة كلها وإخلاص الدين كله لله هذا هو

---

(١) انظر: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، ١/ ٢٠٣، وشرح النووي على صحيح مسلم، ١/ ٣٤٥ ومجموع فتاوى ابن تيمية، ١/ ٢١٣.

(٢) متفق عليه: البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، ١/ ١٢٥، برقم ٤٢٥، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، ١/ ٤٥٥، برقم ٣٣.

توحيد الألوهية: وهو معنى «لا إله إلاّ الله» وهذا التـوحيـد يتضمـن جميـع أنـواع التـوحيـد[١] ويستلزمها؛ فإن التوحيد نوعان:

١- التوحيد الخبري العلمي الاعتقادي[٢]: وهو توحيد في المعرفة والإثبات، وهو توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وهو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى، وصفاته، وأفعاله، وأسمائه، وتكلمه بكتبه لمن شاء من عباده، وإثبات عموم قضائه، وقدره، وحكمته، وتنزيهه عما لا يليق به.

٢- التوحيد الطلبي القصدي الإرادي: وهو توحيد في الطلب والقصد: وهو توحيد الإلهية أو العبادة[٣].

---

(١) انظر: تيسير العزيز الحميد، للشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ص ٧٤، والقول السديد، للسعدي، ص ١٧، وبيان حقيقة التوحيد، للشيخ صالح الفوزان، ص ٢٠.
(٢) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ٣/ ٤٤٩.
(٣) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، =

وتكون أنواع التوحيد على التفصيل ثلاثة أنواع على النحو الآتي:

النوع الأول: توحيد الربوبية وهو: الاعتقاد الجازم بأن الله تعالى هو الرب المتفرد بالخلق، والملك، والرزق، والتدبير، الذي ربّى جميع خلقه بالنعم، وربى خواص خلقه ـ وهم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم المخلصين ـ بالعقائد الصحيحة والأخلاق الجميلة، والعلوم النافعة، والأعمال الصالحة، وهذه التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدنيا والآخرة.

النوع الثاني: توحيد الأسماء والصفات: وهو الاعتقاد الجازم بأن الله هو المنفرد بالكمال المطلق من جميع الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبته

= لابن القيم، ٢/ ٩٤، ومعارج القبول، لحافظ الحكمي ١/ ٩٨، وفتح المجيد، لعبدالرحمن بن حسن، ص ١٧.

الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله من غير نفي لشيء منها، ولا تعطيل، ولا تحريف، ولا تمثيل، ولا تكييف. ونفي ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب وعن كل ما ينافي كماله.

وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات قد وضحه الله في كتابه كما في أول سورة الحديد، وسورة طه، وآخر سورة الحشر، وأول سورة آل عمران، وسورة الإخلاص بكاملها، وغير ذلك[١] .

النوع الثالث: توحيد الإلهية، ويقال له: توحيد العبادة، وهو الاعتقاد الجازم ـ مع العلم

---

(١) انظر: فتح المجيد، ص ١٧، والقول السديد في مقاصد التوحيد لعبدالرحمن السعدي، ص ١٤-١٧، ومعارج القبول، ١/ ٩٩.

والعمل والاعتراف ـ بأن الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، وإفراده وحده بالعبادة كلها، وإخلاص الدين كله لله، وهو يستلزم توحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات ويتضمنهما؛ لأن الألوهية التي هي صفة تعم أوصاف الكمال، وجميع أوصاف الربوبية والعظمة؛ فإنه المألوه المعبود لما له من أوصاف العظمة والجلال، ولما أسداه إلى خلقه من الفواضل والإفضال، فتوحده سبحانه بصفات الكمال، وتفرده بالربوبية، يلزم منه أن لا يستحق العبادة أحد سواه.

وتوحيد الألوهية هو مقصود دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم. وهذا النوع قد تضمنته سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا

يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾[١] ، وأول سورة السجدة وآخرها، وأول سورة غافر ووسطها وآخرها، وأول سورة الأعراف وآخرها، وغالب سور القرآن.

وكل سور القرآن قد تضمنت أنواع التوحيد، فالقرآن كله من أوله إلى آخره في تقرير أنواع التوحيد؛ لأن القرآن كله إما خبر عن الله وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأقواله، فهذا هو التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي: «توحيد الربوبية والأسماء والصفات»، وإما دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما يُعبد من دونه، وهذا هو التوحيد الإرادي الطلبي ـ «توحيد الألوهية» ـ. وإما أمر ونهي وإلزام بطاعة الله، وذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرام أهل

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

التـوحيـد ومـا فعـل بهـم في الـدنيـا مـن النصر والتأييد، وما يكرمهم به في الآخرة، وهو جزاء توحيده سبحانه، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في الآخرة من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه، وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم[1].

○ **المطلب الرابع: ثمرات التوحيد وفوائده:**

التوحيد له فضائل عظيمة، وآثار حميدة، ونتائج جميلة، ومن ذلك ما يأتي:

١ ـ خير الدنيا والآخرة من فضائل التوحيد وثمراته.

٢ ـ التوحيد هو السبب الأعظم لتفريج

---

(١) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ٣/ ٤٥٠، وفتح المجيد، ص ١٧-١٨، والقول السديد، ص ١٦، ومعارج القبول، ١/ ٩٨.

كربات الدنيا والآخرة، يدفع الله به العقوبات في الدارين، ويبسط به النعم والخيرات.

٣ ـ التوحيد الخالص يثمر الأمن التام في الدنيا والآخرة، قال الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾[1].

٤ ـ يحصل لصاحبه الهدى الكامل، والتوفيق لكل أجر وغنيمة.

٥ ـ يغفر الله بالتوحيد الذنوب ويكفر به السيئات، ففي الحديث القدسي عن أنس رضي الله عنه يرفعه: «**ياابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة**»[2].

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٢.

(٢) الترمذي، كتاب الدعوات، باب فضل التوبة والاستغفار، ٥/٥٤٨، برقم ٣٥٤٠، وصححه الألباني في صحيح الترمذي، ٣/١٧٦، وسلسلة الأحاديث الصحيحة، برقم ١٢٧، ١٢٨.

٦ ـ يدخل الله به الجنة، فعن عبادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل»[١]، وفي حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة»[٢].

٧ ـ التوحيد يمنع دخول النار بالكلية إذا كمل في القلب، ففي حديث عتبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «... فإن الله حرم على النار

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ ٤/ ١٦٨، برقم ٣٢٥٢، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، ١/ ٥٧، برقم ٢٨.

(٢) مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ١/ ٩٤ برقم ٩٣.

من قال: **لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»**[١] .

٨ ـ يمنع الخلود في النار إذا كان في القلب منه أدنى حبة من خردل من إيمان[٢] .

٩ ـ التوحيد هو السبب الأعظم في نيل رضا الله وثوابه، وأسعد الناس بشفاعة محمد ﷺ: **«من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه»**[٣] .

١٠ـ جميع الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة متوقفة في قبولها وفي كمالها، وفي

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، ١/ ١٢٦، برقم ٤٢٥، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الرخصة في التخلف عن الجماعة بعذر، ١/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦، برقم ٣٣.

(٢) انظر: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾، برقم ٧٤١٠، وصحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، ١/ ١٧٠، برقم ١٨٣، ورقم ١٩٣.

(٣) البخاري، كتاب العلم، باب الحرص على الحديث، ١/ ٣٨، برقم ٩٩.

ترتيب الثواب عليها على التوحيد، فكلما قوي التوحيد والإخلاص لله كملت هذه الأمور وتمت.

١١ـ يُسَهِّل على العبد فعل الخيرات، وترك المنكرات، ويسلِّيه عن المصائب، فالموحد المخلص لله في توحيده تخف عليه الطاعات؛ لما يرجو من ثواب ربه ورضوانه، ويهوِّن عليه ترك ما تهواه النفس من المعاصي؛ لما يخشى من سخط الله وعقابه.

١٢ـ التوحيد إذا كمل في القلب حبب الله لصاحبه الإيمان وزينه في قلبه، وكرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، وجعله من الراشدين.

١٣ـ التوحيد يخفف عن العبد المكاره، ويهوِّن عليه الآلام، فبحسب كمال التوحيد في قلب العبد يتلقى المكاره والآلام بقلب منشرح ونفس مطمئنة، وتسليمٍ ورضاً بأقدار الله

المـؤلمـة، وهـو مـن أعظـم أسبـاب انشـراح الصدر.

١٤ـ يحرِّر العبد من رِق المخلوقين والتعلُّقِ بهم، وخوفهم ورجائهم، والعمل لأجلهم، وهذا هو العزُّ الحقيقي، والشرف العالي، ويكون مع ذلك متعبداً لله لا يرجو سواه، ولا يخشى إلا إيَّاه، وبذلك يتمُّ فلاحه، ويتحقق نجاحه.

١٥ـ التوحيد إذا كمل في القلب، وتحقَّق تحققاً كاملاً بالإخلاص التام فإنه يصير القليل من عمل العبد كثيراً، وتضاعف أعماله وأقواله الطيبة بغير حصر، ولا حساب.

١٦ـ تكفَّـل الله لأهـل التـوحيـد بـالفتـح، والنصر في الدنيا، والعز والشرف، وحصول الهـدايـة، والتيسيـر لليسـرى، وإصـلاح الأحوال، والتسديد في الأقوال والأفعال.

١٧ـ الله عز وجل يدافع عن الموحدين أهل الإيمان شرور الدنيا والآخرة، ويمنُّ عليهم بـالحيـاة الطيبـة، والطمـأنينـة إليـه، والأُنـس بذكره.

قال العلامة السعدي رحمه الله: «وشواهد هذه الجمل من الكتاب والسنة كثيرة معروفة، والله أعلم»(١).

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وليس للقلوب سرور ولذة تامة إلا في محبة الله تعالى، والتقرب إليه بما يحبه، ولا تتم محبة الله إلا بالإعراض عن كل محبوب سواه، وهذا حقيقة لا إله إلا الله»(٢).

---

(١) القول السديد في مقاصد التوحيد ص٢٥.
(٢) مجموع الفتاوى، ٢٨/ ٣٢.

المبحث الثاني: ظلمات الشرك

○ المطلب الأول: مفهوم الشرك:

الشِّـرْكُ، والشِّـرْكَةُ، بمعنى وقد اشتركا، وتشاركا، وشارك أحدهما الآخر، وأشرك بالله: كفر فهو مشركٌ ومشركي، والاسم الشرك فيهما، ورغبنا في شرككم: مشاركتكم في النسب[١]، وأشرك بـالله: جعـل لـه شريكـاً في ملكـه، أو عبادته، فالشرك: هو أن تجعل لله نداً وهو خلقـك، وهـو أكبر الكبـائـر، وهـو المـاحـق للأعمال، والمبطل لها، والحارم المانع من ثوابها، فكل من عدل بالله غيره: بالحب، أو التعظيم، أو اتبع خطواته، ومبادئه المخالفة لملة إبراهيم ﷺ فهو مشرك[٢].

---

(١) انظر: القاموس المحيط، باب الكاف، فصل الشين، ص ١٢٤٠.

(٢) الأجوبـة المفيـدة لمهمـات العقيـدة، لعبد الرحمن الدوسري، ص ٤١.

والشرك شركان: شرك أكبر يخرج من الملة، وشرك أصغر لا يخرج من الملة[١] .

وذكر العلامة السعدي رحمه الله أن حد الشرك الأكبر الذي يجمع أنواعه وأفراده أن يصرف العبد نوعاً أو فرداً من أفراد العبادة لغير الله، فكل: اعتقاد، أو قول، أو عمل ثبت أنه مأمور به من الشارع فصرفه لله وحده توحيد وإيمان وإخلاص، وصرفه لغيره شرك وكفر، وهذا ضابط للشرك الأكبر لا يشذ عنه شيء وأما حد الشرك الأصغر فهو: كل وسيلة وذريعة يتطرق منها إلى الشرك الأكبر، من: الإرادات، والأقوال، والأفعال التي لم تبلغ رتبة العبادة[٢] .

(١) انظر: قضية التكفير، للمؤلف، ص ١١٩ .

(٢) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد، لعبدالرحمن بن ناصر السعدي، ص ٣١، ٣٢، ٥٤ .

○ **المطلب الثاني: البراهين الواضحات في إبطال الشرك:**

الأدلة القاطعة الواضحة في إبطال الشرك، وذم أهله كثيرة، منها ما يأتي:

١- كل من دعا نبيًّا، أو وليًّا، أو ملكاً، أو جنيًّا، أو صرف له شيئاً من العبادة فقد اتخذه إلٰهاً من دون الله[١]، وهذا هو حقيقة الشّرك الأكبر الذي قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾[٢].

٢- من البراهين القطعية التي ينبغي تبيينها وتوضيحها لمن اتَّخَذَ من دون الله آلهة أخرى، قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ۞ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ

(١) انظر: فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص ٢٤٢.
(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨.

ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾[١].

فقد أنكر سبحانه على من اتخذ من دونه آلهة من الأرض، سواء كانت أحجاراً أو خشباً، أو غير ذلك من الأوثان التي تعبد من دون الله! فهل هم يحيون الأموات ويبعثونهم؟ والجواب: كلا، لا يقدرون على شيء من ذلك، ولو كان في السَّمَـٰوات والأرض آلهة تستحق العبادة غير الله لفسدتا وفسد ما فيهما من المخلوقات؛ لأن تعدد الآلهة يقتضي التمانع والتنازع والاختلاف، فيحدث بسببه الهلاك، فلو فُرِضَ وجود إلـٰهين، وأراد أحدهما أن يخلق شيئاً والآخر لا يريد ذلك، أو أراد أن يُعطي والآخر أراد أن يمنع، أو أراد أحدهما تحريك جسم والآخر يريد تسكينه، فحينئذ يختل نظام العالم، وتفسد

(١) سورة الأنبياء، الآيات: ٢١-٢٣.

الحياة! وذلك:

* لأنه يستحيل وجود مرادهما معاً، وهو من أبطل الباطل؛ فإنه لو وجد مرادهما جميعاً للزم اجتماع الضدين، وأن يكون الشيء الواحد حيًّا ميتاً، متحركاً ساكناً.

* وإذا لم يحصل مراد واحد منهما لزم عجز كل منهما، وذلك يناقض الربوبية.

* وإن وُجِدَ مـراد أحـدهمـا ونفـذ دون مـراد الآخر، كان النافذ مراده هو الإلـه القادر والآخر عاجز ضعيف مخذول.

* واتفاقهما على مراد واحد في جميع الأمور غير ممكن.

وحينئذ يتعين أن القاهر الغالب على أمره هو الذي يوجد مراده وحده غير مُمانع ولا مُدافع، ولا مُنـازع ولا مُخـالـف ولا شريـك، وهـو الله

الخالق الإلـه الواحد، لا إلـه إلا هو، ولا رب سواه؛ ولهذا ذكر سبحانه دليل التمانع في قوله عز وجل: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(١) .

وإتقان العالم العلوي والسفلي، وانتظامه منذ خلقه، واتساقه، وارتباط بعضه ببعض في غاية الدقة والكمال: ﴿ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍۖ ﴾(٢) . وكل ذلك مسخر، ومدبر بالحكمة لمصالح الخلق كلهم يدل على أن مدبره واحد، وربه واحد، وإلـهه واحد، لا معبود غيره، ولا خالق سواه(٣) .

---

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩١، ٩٢.
(٢) سورة الملك، الآية: ٣.
(٣) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٩/ ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٣٧-٣٨٢، ١/ ٣٥-٣٧، وتفسير البغوي ٣/ ٢٤١، ٣١٦،=

٣- من المعلوم عند جميع العقلاء أن كل ما عُبِدَ من دون الله من الآلهة ضعيف من كل الوجوه، وعاجز ومخذول، وهذه الآلهة لا تملك لنفسها ولا لغيرها شيئاً من ضر أو نفع، أو حياة أو موت، أو إعطاء أو منع، أو خفض أو رفع، أو عزّ أو ذلّ، وأنها لا تتصف بأي صفة من الصفات التي يتصف بها الإلـه الحق، فكيف يعبد من هذه حاله؟ وكيف يُرجى أو يُخاف من هذه صفاته؟ وكيف يُسئَل من لا يسمع ولا يبصر ولا يعلم شيئاً[1].

= وابن كثير ٣/ ٢٥٥، ١٧٦، وفتح القدير للشوكاني، ٣/ ٤٠٢، ٤٩٦، وتفسير عبدالرحمن السعدي، ٥/ ٢٢٠، ٣٧٤، وأيسر التفاسير لأبي بكر جابر الجزائري ٣/ ٩٩، ومناهج الجدل في القرآن الكريم للدكتور زاهر بن عواض الألمعي ص ١٥٨-١٦١.

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢/ ٨٣، ٢١٩، ٢٧٧، ٤١٧، ٣/ ٤٧، ٢١١، ٣١٠، وتفسير السعدي ٢/ ٣٢٧، ٤٢٠، ٣/ ٢٩٠، ٤٥١، ٥/ ٢٧٩، ٤٥٧، ٦/ ١٥٣، وأضواء البيان للشنقيطي ٢/ ٤٨٢، ٣/ ١٠١، ٣٢٢، ٥٩٨، ٥/ ٤٤، ٦/ ٢٦٨.

وقد بين الله عز وجل ضعف وعجز كل ما عبد من دونه أكمل بيان، فقال سبحانه: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1] ، وقال عز وجل: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ * وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ * إِنَّ وَلِـِّۧىَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ * وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَطِيعُونَ

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٦.

نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ * وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾[1] ، وقال عز وجل : ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾[2] .

وهي مع هذه الصفات لا تملك كشف الضر عن عابديها ولا تحويله إلى غيرهم ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾[3] .

٤- ومن المعلوم يقيناً أن ما يعبده المشركون مـــن دون الله : الأنبيـــاء، أو الصـــالحين، أو الملائكة، أو الجن الذين أسلموا، أنهم في شغل

(١) سورة الأعراف، الآيات : ١٩١-١٩٨ .
(٢) سورة الفرقان، الآية : ٣ .
(٣) سورة الإسراء، الآية : ٥٦ .

شاغل عنهم باهتمامهم بالافتقار إلى الله بالعمل الصالح، والتنافس في القُرْبِ من ربهم يرجون رحمته ويخافون عذابه، فكيفَ يُعبَدُ من هذا حاله؟[١] قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾[٢] .

٥- وقد أوضح وبيَّن سبحانه أن ما عُبِدَ من دونه قد توفرت فيهم جميع أسباب العجز وعدم إجابة الدعاء من كل وجه؛ فإنهم لا يملكون مثقال ذرة في السَّمَـٰـوات ولا في الأرض لا على وجــه الاستقلال، ولا على وجه الاشتراك، وليس لله من هــذه المعبـودات مـن ظهير يسـاعـده على ملكـه وتدبيره، ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٤٨، وتفسير السعدي ٤/ ٢٩١.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٥٧.

له[١] ، قال عز وجل : ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾[٢] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ * إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾[٣] .

٦- وقال عز وجل : ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[٤] .

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير ٣/ ٣٧ ، وتفسير السعدي ٦/ ٢٧٤ .
(٢) سورة سبأ ، الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ .
(٣) سورة فاطر ، الآيتان : ١٣ ، ١٤ .
(٤) سورة الزمر ، الآية : ٣٨ .

٧- وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾(١) ، وهذا وصف لكل مخلوق، وأنه لا ينفع ولا يضر وإنما النافع الضار هو الله، ومن دعا ما لا يضره ولا ينفعه فقد ظلم نفسه بالوقوع في الشرك الأكبر، وإذا كان النبي عليه الصلاة والسلام لو دعا غير الله لكان من الظالمين المشركين، فكيف بغيره(٢) ؟، فالنافع الضار هو المستحق للعبادة وحده ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٣) .

---

(١) سورة يونس، الآيتان: ١٠٦-١٠٧ .

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، ص ٣٣١ .

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٧ .

٨- وقال عز وجل: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴾[١] فهل هناك أضل من هؤلاء الذين يعبدون من لا يستجيب لهم مدة مقامهم في الدنيا، لا ينتفعون بهم مثقال ذرة، وهم لا يسمعون منهم دعاء، ولا يجيبون لهم نداء، وهذا حالهم في الدنيا، ويوم القيامة يكفرون بشركهم، ويكونون لهم أعداء يلعن بعضهم بعضاً، ويتبرأ بعضهم من بعض[٢] .

٩- ضرب الأمثال من أوضح وأقوى أساليب الإيضاح والبيان في إبراز الحقائق المعقولة في صورة الأمر المحسوس، وهذا من أعظم ما يُردُّ به على الوثنيين في إبطال عقيدتهم وتسويتهم

---

(١) سورة الأحقاف، الآيتان: ٥-٦ .

(٢) انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٧٢٤ .

المخلوق بالخالق في العبادة والتعظيم؛ ولكثرة هذا النوع في القرآن الكريم سأقتصر على ثلاثة أمثلة توضح المقصود على النحو الآتي:

(أ) قال الله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[1].

حق على كل عبد أن يستمع لهذا المثل، ويتدبره حق تدبره، فإنه يقطع مواد الشرك من قلبه، فالآلهة التي تُعبَد من دون الله لن تقدر على خلق الذباب ولو اجتمعوا كلهم لخلقه، فكيف بما هو أكبر منه، بل لا يقدرون على الانتصار من الذباب

---

(١) سورة الحج، الآيتان: ٧٣، ٧٤.

إذا سلبهم شيئاً مما عليهم من طيب ونحوه، فيستنقذوه منه، فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو أضعف المخلوقات، ولا على الانتصار منه واسترجاع ما سلبهم إياه، فلا أعجز من هذه الآلهة الباطلة، ولا أضعف منها، فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله؟!

وهذا المثل من أبلغ ما أنزل الله تعالى في بطلان الشرك وتجهيل أهله[1].

(ب) ومن أحسن الأمثال وأدلّها على بطلان الشرك، وخسارة صاحبه وحصوله على ضد مقصوده، قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ

(١) انظر: أمثال القرآن، لابن القيم، ص ٤٧، والتفسير القيم، لابن القيم، ص ٣٦٨، وتفسير البغوي، ٣/ ٢٩٨، وتفسير ابن كثير، ٣/ ٢٣٦، وفتح القدير للشوكاني، ٣/ ٤٧٠، وتفسير السعدي، ٥/ ٣٢٦.

بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ * إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ * وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾[1] .

فهذا مثل ضربه الله لمن عبد معه غيره يقصد به التعزز والتقوي والنفع، فبين سبحانه أن هؤلاء ضعفاء، وأن الذين اتخذوهم أولياء من دون الله أضعف منهم، فهم في ضعفهم وما قصدوه من اتخاذ الأولياء كالعنكبوت التي هي من أضعف الحيوانات، اتخذت بيتاً وهو من أضعف البيوت، فما ازدادت باتخاذه إلا ضعفاً، وكذلك من اتخذ من دون الله أولياء، فإنهم ضعفاء، وازدادوا باتخاذهم ضعفاً إلى ضعفهم[2] .

---

(١) سورة العنكبوت، الآيات: ٤١-٤٣ .

(٢) انظر: تفسير البغوي ٣/ ٤٦٨، وأمثال القرآن لابن القيم ص ٢١،=

(ج) ومن أبلغ الأمثال التي تُبيِّن أن المشرك قد تشتت شمله واحتار في أمره، ما بيّنه تعالى بقـــولـــه: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] .

فهذا مثل ضربه الله تعالى للمشرك والموحد، فالمشرك لما كان يعبد آلـٰهة شتى شُبِّهَ بعبد يملكه جماعة متنازعون مختلفون، سيئة أخلاقهم، يتنافسون في خدمته، لا يمكنه أن يبلغ رضاهم أجمعين، فهو في عذاب.

والموحد لما كان يعبد الله وحده لا شريك له، فمثله كمثل عبد لرجل واحد، قد سلم له، وعلم مقاصده، وعرف الطريق إلى رضاه، فهو في راحة من تشاحن الخلطاء فيه واختلافهم، بل

= وفتح القدير للشوكاني ٤/ ٢٠٤.

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٩.

هو سالم لمالكه من غير تنازع فيه، مع رأفة مالكه به، ورحمته له، وشفقته عليه، وإحسانه إليه، وتوليه لمصالحه، فهل يستوى هذان العبدان؟ والجواب: كلاًّ، لا يستويان أبدًا[1].

١٠- الذي يستحق العبادة وحده من يملك القدرة على كل شيءٍ، والإحاطة بكل شيءٍ، وكمال السلطان والغلبة والقهر والهيمنة على كل شيءٍ، والعلم بكل شيء، ويملك الدنيا والآخرة، والنفع والضر، والعطاء والمنع بيده وحده، فمن كان هذا شأنه فإنه حقيق بأن يُذكَر فلا يُنسى، ويُشكر فلا يُكفر، ويُطاع فلا يُعصى، ولا يُشرك معه غيره[2].

---

(١) انظر: تفسير البغوي ٤/ ٧٨، وابن كثير ٤/ ٥٢، والتفسير القيم، لابن القيم، ص ٤٢٣، وفتح القدير للشوكاني ٤/ ٤٦٢، وتفسير السعدي ٦/ ٤٦٨، وتفسير الجزائري ٤/ ٤٣.

(٢) انظر: تفسير البغوي ١/ ٢٣٧، ٣/ ٧١، ٢/ ٨٨، ٣٧٢، وابن كثير ١/ ٣٠٩، ٢/ ٥٧٢، ٣/ ٤٢، ٢/ ١٢٧، ٤٣٥، ٥٧٠،=

وصفات الكمال المطلق لله تعالى، لا يحيط بها أحد، ولكن منها على سبيل المثال:

(أ) المتفـرد بالألوهيـة: لا يستحق الألوهية إلا الله وحده، الحي الذي لا يموت أبداً، القيوم الذي قام بنفسه واستغنى عن جميع المخلوقات، وهي مفتقـرة إليـه في كل شيء، ومن كمال حياتـه وقيوميته أنه لا تأخذه سنة ولا نوم، وجميع ما في السَّمَـٰوات والأرض عبيده، وتحت قهره وسلطانه: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْدًا * لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾[1].

ومن تمام ملكه وعظمته وكبريائه أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فكل الوجهاء والشفعاء

= ١/ ٣٤٤، ٢/ ١٣٨، وتفسير السعدي ١/ ٣١٣، ٧/ ٦٨٦، ٢/ ٣٨١، ٣/ ٣٩٧، ٤/ ٢٠٤، ٦/ ٣٦٤، ١/ ٣٥٦، ٢/ ٣٧٢، وأضواء البيان ٢/ ١٨٧، ٣/ ٢٧١.

(١) سورة مريم، الآيتان: ٩٣، ٩٤.

عبيد له، لا يقدمون على شفاعة حتى يأذن لهم، ولا يأذن إلا لمن ارتضى، وعلمه تعالى محيط بجميع الكائنات، ولا يطلع أحد على شيء من علمه إلا ما أطلعهم عليه، ومن عظمته أن كرسيه وسع السَّمَاوات والأرض، وأنه قد حفظهما وما فيهما من مخلوقات، ولا يثقله حفظهما، بل ذلك سهل عليه يسير لديه، وهو القاهر لكل شيء، العلي بذاته على جميع مخلوقاته، والعلي بعظمته وصفاته، العلي الذي قهر المخلوقات ودانت له الموجودات، العظيم الجامع لصفات العظمة والكبرياء، وقد دل على هذه الصفات العظيمة قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾[١] .

(ب) وهو الإلـه الذي خضع كل شيء لسلطانه، فانقادت له المخلوقات بأسرها: جماداتها، وحيواناتها، وإنسها، وجنّها، وملائكتها ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾[٢] .

(ج) وهو الإلـه الذي بيده النفع والضر، فلو اجتمع الخلق على أن ينفعوا مخلوقاً لم ينفعوه إلا بما كتبه الله له، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه إذا لم يرد الله ذلك: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٣] .

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥ .
(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨٣ .
(٣) سورة يونس، الآية: ١٠٧ .

(د) وهو القادر على كل شيء، ولا يعجزه شيء: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[1] .

(هـ) إحاطة علمه بكل شيء، شامل للغيوب كلها: يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون[2] : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[3] ، ﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ﴾[4] ، ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعۡلَمُهَا

(١) سورة يسٓ، الآية: ٨٢.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ٣٤٤، ٢/ ١٣٨، والسعدي ٢/ ٣٥٦، ٢/ ٣٧٢.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥.
(٤) سورة يونس: الآية: ٦١.

وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[١] ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢] .

ولا شك أن من عرف هذه الصفات وغيرها من صفات الكمال والعظمة، فإنه سيعبد الله وحده؛ لأنه الإلـه المستحق للعبادة .

○ المطلب الثالث: الشفاعة:

أولاً: مفهوم الشفاعة لغة : يُقال شفع الشيء : ضمَّ مثله إليه، فجعل الوتر شفعاً[٣] .

واصطلاحاً: التوسط للغير بجلب منفعة أو دفع مضرَّة[٤] .

---

(١) سورة الأنعام، الآية : ٥٩ .
(٢) سورة الأنفال، الآية : ٧٥ .
(٣) انظر : القاموس المحيط، باب العين، فصل الشين ص ٩٤٧، والنهاية في غريب الحديث، ٢/ ٤٨٥، والمعجم الوسيط ١/ ٤٨٧ .
(٤) انظر : شرح لمعة الاعتقاد للشيخ محمد صالح العثيمين ص ٨٠ .

من الحكمة القولية في دعوة من يتعلّق بغير الله تعالى ويطلب الشفاعة منه أن يبين له أن الشفاعة ملك لله وحده: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[1] .

ثانياً: يرد على من طلب الشفاعة من غير الله تعالى بالأقوال الحكيمة الآتية:

١- **ليس المخلوق كالخالق،** فكل من قال: إن الأنبياء والصالحين والملائكة أو غيرهم من المخلوقين لهم عند الله جاهٌ عظيمٌ ومقاماتٌ عاليةٌ فهم يشفعون لنا عنده كما يتقرّب إلى الوجهاء والوزراء عند الملوك والسّلاطين، ليجعلوهم وسائط لقضاء حاجاتهم، فهذا القول من أبطل الباطل؛ لأنه شبه الله العظيم ملك الملوك بالملوك الفقراء المحتاجين للوزراء والوجهاء

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٤٤ .

في تكميل ملكهم ونفوذ قوتهم، فإن الوسائط بين الملوك وبين الناس على أحد وجوه ثلاثة:

الوجه الأول: إما لإخبارهم عن أحوال الناس بما لا يعرفونه.

الوجه الثاني: أو يكون المَلِكُ عاجزاً عن تدبير رعيته فلابدّ له من أعوان؛ لذُلِّهِ وعجزه.

الوجه الثالث: أو يكون الملك لا يريد نفع رعيته والإحسان إليهم، فإذا خاطبهم من ينصحه ويعظه تحركت إرادته وهمّته في قضاء حوائج رعيته.

والله عز وجل ليس كخلقه الضعفاء، فهو تعالى لا تخفى عليه خافية، وغني عن كل ما سواه، وأرحم بعباده من الوالدة بولدها، ومعلوم أن الشافع عند ملوك الدنيا قد يكون له ملك مستقل، وقد يكون شريكاً لهم، وقد يكون معاوناً لهم، فالملوك يقبلون شفاعته لأحد ثلاثة أمور:

أ - تارة لحاجتهم إليه .
ب- وتارة لخوفهم منه .
جـ- وتارة لجزاء إحسانه إليهم .

وشفاعة العباد بعضهم عند بعض من هذا الجنس، فلا يقبل أحد شفاعة أحد إلا لرغبة أو رهبة، والله عز وجل لا يرجو أحداً ولا يخافه، ولا يحتاج إليه[1] ، ولهذا قطع الله جميع أنواع التعلّقات بغيره، وبيّن بطلانها، فقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[2] .

(١) انظر : فتاوى ابن تيمية ١/ ١٢٦-١٢٩ .
(٢) سورة سبأ، الآيتان: ٢٢، ٢٣ .

فقـد سـدّت هـذه الآيـة على المشركين جميـع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك أبلغ سدٍّ وأحكمه، فإن العابد إنما يتعلّق بالمعبود لما يرجو من نفعه، وحينئذ فلابد أن يكون المعبود مالكاً للأسباب التي ينتفع بها عابده، أو يكون شريكاً لمالكها، أو ظهيراً أو وزيراً أو معاوناً له، أو وجيهاً ذا حرمة وقدر يشفع عنده، فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كل وجه انتفت أسباب الشرك وانقطعت مواده[١] .

٢- الشفاعة: شفاعتان:

(أ) الشفاعة المثبتة : وهي التي تطلب من الله ولها شرطان :

الشرط الأول: إذن الله للشّافع أن يشفع، لقوله تعالى : ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ ﴾[٢] .

---

(١) انظر : التفسير القيم، لابن القيم ص ٤٠٨ .

(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٥٥ .

الشرط الثاني: رضا الله عن الشّافع والمشفوع له، لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾[١]، ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾[٢].

(ب) الشفاعة المنفية: وهي التي تطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، والشفاعة بغير إذنه ورضاه والشفاعة للكفار: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴾[٣]، ويستثنى شفاعته ﷺ في تخفيف عذاب أبي طالب[٤].

٣- الاحتجاج على من طلب الشفاعة من غير الله بالنص والإجماع، فلم يكن النبي ﷺ ولا

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٨.
(٢) سورة طه، الآية: ١٠٩.
(٣) سورة المدثر، الآية: ٤٨.
(٤) انظر: البخاري مع الفتح، مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب ٧/ ١٩٣، برقم ٣٨٨٣، ومسلم، كتاب الإيمان، باب أهون أهل النار عذاباً، ١/ ١٩٥، برقم ٢١١.

الأنبياء من قبله شرعوا للناس أن يدعوا الملائكة، أو الأنبيـاء، أو الصـالحين، ولا يطلبـوا منهـم الشفاعة، ولم يفعل ذلك أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولم يستَحِبّ ذلك أحد من أئمة المسلمين، لا الأئمة الأربعة ولا غيرهم، ولا مجتهد يعتمد على قوله في الدين، ولا من يعتبر قـولـه في مسـائـل الإجمـاع، فـالحمـد لله رب العالمين[1] .

○ المطلب الرابع: مسبغ النعم المستحق للعبادة:

من الحكمة في دعوة المشركين إلى الله تعالى لفت أنظارهم وقلوبهم إلى نعم الله العظيمة: الظاهرة والباطنة، والدينية والدنيوية. فقد

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية ١/ ١١٢، ١٥٨، ١٤/ ٣٩٩-٤١٤، ١/ ١٠٨-١٦٥، ١٤/ ٣٨٠، ٤٠٩، ١/ ١٦٠-١٦٦، ١٩٥، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٤١، ودرء تعـارض العقـل والنقـل، لـه، ٥/ ١٤٧، وأضواء البيان ١/ ١٣٧.

أسبغ على عباده جميع النعم : ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾[١] ، وسخر هذا الكون وما فيه من مخلوقات لهذا الإنسان .

وقد بيّن سبحانه هذه النعم، وامتن بها على عباده، وأنه المستحق للعبادة وحده، ومما امتن به عليهم ما يأتي :

أولاً: على وجه الإجمال: قال الله عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا . . . ﴾[٢] ، ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾[٣] ، ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٤] .

---

(١) سورة النحل، الآية : ٥٣ .
(٢) سورة البقرة، الآية : ٢٩ .
(٣) سورة لقمان، الآية : ٢٠ .
(٤) سورة الجاثية، الآية : ١٣ .

فقد شمل هذا الامتنان جميع النعم: الظاهرة والباطنة، الحسيّة والمعنوية، فجميع ما في السَّمَـٰوات والأرض قد سُخِّر لهذا الإنسان، وهو شامل لأجرام السَّمَـٰوات والأرض، وما أودع فيهما من: الشمس والقمر والكواكب، والثـوابـت والسيـارات، والجبـال والبحـار والأنهار، وأنواع الحيوانات، وأصناف الأشجار والثمار، وأجناس المعادن، وغير ذلك مما هو من مصالح بني آدم، ومصالح ما هو من ضروراتهم للانتفاع والاستمتاع والاعتبار.

وكل ذلك دالّ على أن الله وحده هو المعبود الذي لا تنبغي العبادة والذلّ والمحبة إلا له، وهذه أدلة عقلية لا تقبل ريباً ولا شكاً على أن الله هو الحق، وأن ما يدعى من دونه هو الباطل[1]:

(١) انظر: تفسير البغوي ١/ ٥٩، ٣/ ٧٢، وابن كثير ٣/ ٤٥١، ٤/ ١٤٩، والشوكاني ١/ ٦٠، ٤/ ٤٢٠، والسعدي ١/ ٦٩،=

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[1] .

ثانياً: على وجه التفصيل: ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۞ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[2] .

= ٦/ ١٦١، ٧/ ٢١، وأضواء البيان للشنقيطي ٣/ ٢٢٥-٢٥٣ .

(١) سورة الحج، الآية: ٦٢، وانظر: سورة لقمان، الآية: ٣٠ .

(٢) سورة إبراهيم، الآيات: ٣٢-٣٤ .

وقال عز وجل بعد أن ذكر نعماً كثيرة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُواْ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُواْ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۞ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ۞ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

أفمن يخلق هذه النعم وهذه المخلوقات العجيبة كمن لا يخلق شيئاً منها؟

ومن المعلوم قطعاً أنه لا يستطيع فرد من أفراد العباد أن يحصي ما أنعم الله به عليه في خلق عضو من أعضائه، أو حاسة من حواسه، فكيف بما

(١) سورة النحل، الآيات: ١٤-١٨، وانظر: الآيات: ٣-١٢ من السورة نفسها.

عدا ذلك من النعم في جميع ما خلقه في بدنه، وكيف بما عدا ذلك من النعم الواصلة إليه في كل وقت على تنوعها واختلاف اجناسها؟[١] . ولا يسع العاقل بعد ذلك إلا أن يعبد الله الذي أسدى لعباده هذه النعم ولا يشرك به شيئاً؛ لأنه المستحق للعبادة وحده سبحانه .

○ **المطلب الخامس: أسباب ووسائل الشرك:**

حذر النبي ﷺ عن كل ما يوصل إلى الشرك ويسبب وقوعه، وبين ذلك بياناً واضحاً، ومن ذلك على سبيل الإيجاز ما يأتي :

١- الغلو في الصالحين هو سببُ الشرك بالله تعالى، فقد كان الناس منذ أُهبِطَ آدم ﷺ إلى الأرض على الإسلام، قال ابن عباس رضي الله

(١) انظر: فتح القدير ٣/ ١٥٤، ٣/ ١١٠، وأضواء البيان ٣/ ٢٥٣.

عنهما: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام»[١].

وبعد ذلك تعلق الناس بالصالحين، ودب الشرك في الأرض، فبعث الله نوحاً ﷺ يدعو إلى عبادة الله وحده، وينهىٰ عن عبادة ما سواه[٢]، وردّ عليه قومه: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾[٣].

وهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً، وسموها بأسمائهم، ففعلوا، ولم تُعبد حتى إذا

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب التاريخ، ٢/ ٥٤٦، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية ١/ ١٠١، وعزاه إلى البخاري، وانظر: فتح الباري ٦/ ٣٧٢.

(٢) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ١/ ١٠٦.

(٣) سورة نوح، الآية: ٢٣.

هلك أولئك ونُسِيَ العلم عُبِدت»[١] .

وهـذا سببـه الغلـو فـي الصـالحين؛ فـإن الشيطان يدعو إلى الغلو في الصالحين وإلى عبادة القبـور، ويُلقـي في قلـوب النـاس أن البنـاء والعكـوف عليهـا مـن محبـة أهلهـا مـن الأنبيـاء والصالحين، وأن الدعاء عندها مستجاب، ثم ينقلهم من هذه المرتبة إلى الدعاء بها والإقسام على الله بها، وشأن الله أعظم من أن يُسأل بأحد من خلقه، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم إلى دعاء صاحب القبر وعبادته وسؤاله الشفاعة من دون الله، واتخاذ قبره وثناً تعلق عليه الستور، ويطاف به، ويستلم ويقبل، ويذبح عنده، ثم ينقلهم من ذلك إلى مرتبة رابعة: وهي دعاء الناس إلى عبادته واتخاذه عيداً، ثم ينقلهم إلى أن من نهى

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة نوح، ٨/ ٦٦٧، برقم ٤٩٢٠.

عن ذلك فقد تَنَقَّصَ أهل هذه الرتب العالية من الأنبياء والصالحين، وعند ذلك يغضبون[١].

ولهذا حذّر الله عباده من الغلو في الدين، والإفراط بالتعظيم بالقول أو الفعل أو الاعتقاد، ورفع المخلوق عن منزلته التي أنزله الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾[٢].

٢- الإفراط في المدح والتجاوز فيه، والغلو في الدين: حذّر رسول الله ﷺ عن الإطراء فقال: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله

---

(١) انظر: تفسير الطبري ٢٩/ ٦٢، وفتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٢٤٦.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٧١.

ورسوله»[١] ، وقال ﷺ: «إياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين»[٢] .

٣- بناء المساجد على القبور، وتصوير الصور فيها: حذَّر ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور، وعن اتخاذها مساجد؛ لأن عبادة الله عند قبور الصالحين وسيلة إلى عبادتهم؛ ولهذا لما ذكرت أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما لرسول الله ﷺ كنيسة في الحبشة فيها تصاوير قال: «إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور،

---

(١) البخاري مع الفتح بلفظه، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ . . . ﴾، ٦/ ٤٧٨، ١٢/ ١٤٤، وانظر: شرحه في الفتح ١٢/ ١٤٩ .

(٢) النسائي، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى ٥/ ٢٦٠، وابن ماجه، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي ٢/ ١٠٠٨، وأحمد ١/ ٣٤٧ .

أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة»[١] .

ومن حرص النبي ﷺ على أمته أنه عندما نزل به الموت قال: «لَعْنَةُ الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد». قالت عائشة رضي الله عنها: يحذر ما صنعوا[٢] .

وقال قبل أن يموت بخمس: «ألا وإن من كـان قبلكـم كـانـوا يتخـذون قبـور أنبيـائهـم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، فإني أنهاكم عن ذلك»[٣] .

---

(١) البخاري مع الفتح، كتاب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية ويتخذ مكانها مساجد ١/ ٥٢٣، ٣/ ٢٠٨، ٧/ ١٨٧، وأخرجه مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ١/ ٣٧٥.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب الصلاة، باب: حدثنا أبو اليمان ١/ ٥٣٢، ٣/ ٢٠٠، ٦/ ٤٩٤، ٧/ ١٨٦، ٨/ ١٤٠، ١٠/ ٢٧٧، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها ١/ ٣٣٧.

(٣) مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن بناء المساجد على القبور ١/ ٣٧٧.

٤- **اتخاذ القبور مساجد**: حذّر ﷺ أمته عن اتخاذ قبره وثناً يُعبد من دون الله، ومن باب أولى غيره من الخلق، فقال: «**اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**»[1].

٥- **إسراج القبور وزيارة النساء لها**: حذر ﷺ عن إسراج القبور؛ لأن البناء عليها، وإسراجها، وتجصيصها والكتابة عليها، واتخاذ المساجد عليها من وسائل الشرك، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**لعن رسول الله ﷺ زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**»[2].

---

(١) الموطأ للإمام مالك، كتاب قصر الصلاة في السفر، باب جامع الصلاة ١/ ١٧٢، وهو عنده مرسل، ولفظ أحمد ٢/ ٢٤٦: «اللهم لا تجعل قبري وثناً، ولعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، وأبو نعيم في الحلية ٧/ ٣١٧، وانظر: فتح المجيد ص ١٥٠.

(٢) النسائي، كتاب الجنائز، باب التغليظ في اتخاذ السرج على القبور=

٦- الجلوس على القبور والصلاة إليها: لم يترك ﷺ باباً من أبواب الشرك التي تُوصِّل إليه إلا سده[1]، ومن ذلك قوله ﷺ: «**لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا إليها**»[2].

٧- اتخاذ القبور عيداً، وهجر الصلاة في البيوت، بيّن ﷺ أن القبور ليست مواضع للصلاة، وأن من صلى عليه وسلم فستبلغه صلاته سواء كان بعيداً عن قبره أو قريباً، فلا حاجة لاتخاذ قبره عيداً: «**لا تجعلوا بيوتكم**

= ٤/ ٩٤، وأبو داود، كتاب الجنائز، باب في زيارة النساء القبور ٣/ ٢١٨، والترمذي، كتاب الصلاة، باب كراهية أن يتخذ على القبر مسجداً ٢/ ١٣٦، وابن ماجه في الجنائز، باب النهي عن زيارة النسائي للقبور ١/ ٥٠٢، وأحمد ١/ ٢٢٩، ٢٨٧، ٣٢٤، ٢/ ٣٣٧، ٣/ ٤٤٢، ٤٤٣، والحاكم ١/ ٣٧٤، وانظر ما نقله صاحب فتح المجيد في تصحيح الحديث عن ابن تيمية ص ٢٧٦ .

(١) انظر: فتح المجيد ص ٢٨١ .

(٢) مسلم، كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة عليه ٢/ ٦٦٨ .

قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»(١) .

وقال ﷺ : «إن لله ملائكة سياحين يبلغوني من أمتي السلام»(٢) .

فإذا كان قبر النبي ﷺ أفضل قبر على وجه الأرض وقد نهى عن اتخاذه عيداً، فغيره أولى بالنهي كائناً من كان(٣) .

٨- الصور وبناء القباب على القبور: كان ﷺ يطهر الأرض من وسائل الشرك، فيبعث بعض

---

(١) أبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور، ٢/ ٢١٨ بإسناد حسن، وأحمد ٢/ ٣٥٧، وانظر: صحيح سنن أبي داود ١/ ٣٨٣.

(٢) النسائي في السهو، باب السلام على النبي ﷺ ٣/ ٤٣، وأحمد ١/ ٤٥٢، وإسماعيل القاضي في فضل الصلاة على النبي ﷺ برقم ٢١، ص ٢٤، وسنده صحيح.

(٣) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعبد الرحمن بن قاسم ٦/ ١٦٥-١٧٤.

أصحابه إلى هدم القباب المشرفة على القبور، وطمس الصور، فعن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ «ألا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»(١).

٩- شد الرحال إلى غير المساجد الثلاثة:

وكما سد ﷺ كل باب يوصّل إلى الشرك فقد حمى التوحيد عما يقرب منه ويخالطه من الشرك وأسبابه، فقال ﷺ: «لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى»(٢).

فدخل في هذا النهي شدّ الرحال لزيارة القبور

---

(١) مسلم، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر ٢/ ٦٦٦.

(٢) البخاري مع الفتح، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ٣/ ٦٣، ومسلم بلفظه، كتاب الحج، باب سفر المرأة مع محرم إلى حج وغيره ٢/ ٩٧٦.

والمشاهد، وهو الذي فهمه الصحابة رضي الله عنهم من قول النبي ﷺ، ولهذا عندما ذهب أبو هريرة رضي الله عنه إلى الطور، فلقيه بصرة بن أبي بصرة الغفاري، فقال: من أين جئت؟ قال: من الطور. فقال: لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت إليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تعمل المطي إلى إلى ثلاثة مساجد...**»[(١)] .

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وقد اتفق الأئمة على أنه لو نذر أن يسافر إلى قبره ﷺ أو غيره من الأنبياء والصالحين لم يكن عليه أن يوفي بنذره، بل ينهى عن ذلك»[(٢)] .

---

(١) النسائي، كتاب الجمعة، باب الساعة التي يستجاب فيها الدعاء يوم الجمعة ٣/ ١١٤، ومالك في الموطأ، كتاب الجمعة، باب الساعة التي في يوم الجمعة ١/ ١٠٩، وأحمد في المسند ٦/ ٧، ٣٩٧، وانظر: فتح المجيد ص ٢٨٩، وصحيح النسائي ١/ ٣٠٩.

(٢) انظر: فتاوى ابن تيمية ١/ ٢٣٤.

١٠- الزيارة البدعية للقبور من وسائل الشرك؛ لأن زيارة القبور نوعان:

النوع الأول: زيارة شرعية يقصد بها السلام عليهم والدعاء لهم، كما يقصد الصلاة على أحدهم إذا مات صلاة الجنازة، ولتذكر الموت ـ بشرط عدم شدِّ الرِّحال ـ ولاتباع سنة النبي ﷺ.

النوع الثاني: زيارة شركية وبدعية[1]، وهذا النوع ثلاثة أنواع:

أ - من يسأل الميت حاجته، وهؤلاء من جنس عُبَّاد الأصنام.

ب- من يسأل الله تعالى بالميت، كمن يقول: أتوسل إليك بنبيك، أو بحق الشيخ فلان، وهذا من البدع المحدثة في الإسلام، ولا يصل إلى الشرك الأكبر، فهو لا يُخرج عن

(١) انظر: فتاوى ابن تيمية ١/ ٢٣٣، والبداية والنهاية ١٤/ ١٢٣.

الإسلام كما يُخرِج الأول.

ج- من يظنّ أن الدعاء عند القبور مُستجاب، أو أنه أفضل من الدعاء في المسجد، وهذا من المنكرات بالإجماع[١].

١١- الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها من وسائل الشرك؛ لما في ذلك من التشبه بالذين يسجدون لها في هذين الوقتين، قال ﷺ: **«لا تحروا بصلاتكم طلوع الشمس ولا غروبها فإنها تطلع بين قرني شيطان»**[٢].

والخلاصة: أن وسائل الشرك التي توصل إليه: هي كل وسيلة وذريعة تكون طريقاً إلى الشرك الأكبر، ومن الوسائل التي لم تذكر هنا: تصوير ذوات الأرواح، والوفاء بالنذر في مكان

---

(١) انظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية ٦/ ١٦٥-١٧٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها، ١/ ٥٦٨، برقم ٨٢٨.

يُعبد فيه صنم أو يقام فيه عيد من أعياد الجاهلية، وغير ذلك من الوسائل[١] .

○ **المطلب السادس: أنواع الشرك وأقسامه:**

أولا : الشرك أنواع، منها :

النوع الأول: شرك أكبر يخرج من الملة؛ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[٢] ، وهو أربعة أقسام :

١ - **شرك الدعوة:** لقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾[٣] .

---

(١) انظر : الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للعلامة الدكتور صالح الفوزان، ص ٥٤-٧٠، ١١٣-١٥٢ .
(٢) سورة النساء، الآية : ١١٦ .
(٣) سورة العنكبوت ، الآية : ٦٥ ، وانظر : الجواب الكافي لابن القيم ص ٢٣٠-٢٤٤ ، ومدارج السالكين، لابن القيم ١/ ٣٣٩-٣٤٦ .

٢- شرك النية والإرادة والقصد: لقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(١).

٣- شرك الطاعة: وهي طاعة الأحبار والرهبان وغيرهم في معصية الله تعالى، قال سبحانه: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٢).

٤- شرك المحبة: لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ

---

(١) سورة هود، الآيتان: ١٥، ١٦، وانظر: سورة الإسراء، الآية: ٨، وسورة الشورى، الآية: ٢٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٣١.

مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ﴾(١) .

والخلاصة: أن الشرك الأكبر هو صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله عز وجل: كأن يدعو غير الله، أو يذبح لغير الله، أو ينذر لغير الله، أو يتقرب لأصحاب القبور، أو الجن والشياطين بشيء من أنواع العبادة، أو يخاف الموتى أن يضروه، أو يرجو غير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله من قضاء الحاجات وتفريج الكربات، وغير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصرف إلا لله عز وجل(٢) .

النوع الثاني: شرك أصغر لا يخرج من الملة ومنه يسير الرياء، قال تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾(٣) ،

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٦٥ .

(٢) انظر: كتاب التوحيد للعلامة الفوزان ص١١ .

(٣) سورة الكهف، الآية: ١١٠ .

ومنه الحلف بغير الله؛ لقوله ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»(١) ، ومنه قول الرجل: لولا الله وأنت، أو ما شاء الله؛ وشئت.

ومن أنواع الشرك: **شرك خفي**: «الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل»(٢) ، وكفارته هي أن يقول العبد: «اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذي لا أعلم»(٣) ، قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ

---

(١) رواه الترمذي وحسنه عن ابن عمر رضي الله عنهما، في كتاب النذور والأيمان، باب: ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، ٤/ ١١٠، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/ ٩٩.

(٢) أخرجه الحكيم الترمذي، انظر: صحيح الجامع ٣/ ٢٣٣، وتخريج الطحاوية للأرنؤوط ص ٨٣.

(٣) أخرجه الحكيم الترمذي، وانظر: صحيح الجامع ٣/ ٢٣٣، ومجموعة التوحيد لمحمد بن عبدالوهاب، وابن تيمية ص٦.

تَعْلَمُونَ ﴾(١) ، قال: الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل وهو أن يقول: واللهِ وحياتِك يا فلان، وحياتي، ويقول: لولا كلبة هذا لأتانا اللصوص البارحة، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان(٢) .

وقول النبي ﷺ: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»(٣) ، قال الترمذي فُسِّرَ عند بعض أهل العلم أن قوله: فقد كفر أو أشرك على التغليظ والحجة في ذلك حديث ابن عمر أن النبي ﷺ: سمع عمر يقول: وأبي وأبي، فقال ﷺ: «ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم»(٤) . وحديث أبي هريرة

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٢

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره، ١/ ٥٦، وعزاه إلى ابن أبي حاتم.

(٣) رواه الترمذي عن ابن عمر ٤/ ١١٠، وتقدم تخريجه ص ٧٦.

(٤) رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما، في كتاب النذور=

رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال في حلفه باللات والعزى فليقل لا إلـه إلاّ الله»[١] .

* ولعل الشرك الخفي يدخل في الشرك الأصغر فيكون الشرك شركان: شرك أكبر وشرك أصغر، وهذا الذي أشار إليه ابن القيم رحمه الله[٢] .

والخلاصة: أن الشرك الأصغر قسمان:

القسم الأول: شرك ظاهر، وهو: ألفاظ وأفعال:

فالألفاظ: كالحلف بغير الله، وقول: ما شاء الله وشئت، أو لولا الله وأنت، أو هذا من الله ومنك، أو هذا من بركات الله وبركاتك ونحو

= والأيمان، باب: ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، ٤/ ١١٠، وانظر: صحيح الترمذي ٢/ ٩٢.

(١) رواه الترمذي عن أبي هريرة في الكتاب والباب المشار إليهما آنفاً ٤/ ١١٠، وانظر: صحيح الترمذي ٢/ ٩٢.

(٢) انظر: الجواب الكافي لمن سأل عند الدواء الشافي ص ٢٣٣.

ذلك . والصواب أن يقول : ما شاء الله وحده أو ما شاء الله ثم شئت ، ولولا الله وحده ، أو لولا الله ثم أنت ، وهذا من الله وحده ، أو هذا من الله ثم منك .

والأفعال : مثل :لبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه ، وتعليق التمائم خوفاً من العين أو الجن ، فمن فعل ذلك يعتقد أن هذه الأشياء ترفع البلاء بعد نزوله ، أو تدفعه قبل نزوله فقد أشرك شركاً أكبر ، وهو شرك في الربوبية حيث اعتقد شريكاً مع الله في الخلق والتدبير ، وشرك في العبودية حيث تأله لذلك وعلق به قلبه طمعاً ورجاء لنفعه ، وإن اعتقد أن الله عز وجل الدافع للبلاء والرافع له وحده ، ولكن اعتقدها سبباً يستدفع بها البلاء ، فقد جعل ما ليس سبباً شرعياً ولا قدرياً سبباً وهذا محرم وكذب على الشرع وعلى القدر : أما الشرع فإنه نهى عن ذلك أشد النهي ، وما

نهى عنه فليس من الأسباب النافعة ، وأما القدر : فليس هذا من الأسباب المعهودة ولا غير المعهودة التي يحصل بها المقصود، ولا من الأدوية المباحة النافعة ، وهو من جملة وسائل الشرك ؛ فإنه لابد أن يتعلق قلب متعلقها بها، وذلك نوع شرك ووسيلة إليه .

القسم الثاني من الشرك الأصغر: شرك خفي وهو الشرك في الإرادات ، والنيات ، والمقاصد، وهو نوعان :

النوع الأول: الرياء، والسمعة، والرياء : إظهار العبادة لقصد رؤية الناس لها ، فيحمدوه عليها ، والفرق بين الرياء والسمعة : أن الرياء لما يُرى من العمل : كالصلاة، والصدقة، والحج ، والجهاد، والسمعة لما يسمع : كقراءة القرآن، والوعظ ، والذكر، ويدخل في ذلك تحدث الإنسان عن أعماله وإخباره بها .

النوع الثاني: إرادة الإنسان بعمله الدنيا: وهو إرادته بالعمل الذي يُبتغى به وجه الله عرضاً من مطامع الدنيا، وهو شرك في النيات والمقاصد وينافي كمال التوحيد ويحبط العمل الذي قارنه (١) نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

ثانياً: الفرق بين الشرك الأكبر والأصغر:

١- الشرك الأكبر يخرج من الإسلام والأصغر لا يخرج من الإسلام.

٢- الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار، والأصغر لا يخلد صاحبه في النار إن دخلها.

٣- الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، والشرك

---

(١) انظر: القول السديد في مقاصد التوحيد، للسعدي، ص ٤٣، والجواب الكافي لمن سأل عند الدواء الشافي، لابن القيم، ص ٢٤٠، وكتاب التوحيد للعلامة الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، ص ١١-١٢، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد له، ص ١٣٤-١٤٣.

الأصغر لا يحبط جميع الأعمال وإنما يحبط الرياء والعمل للدنيا العمل الذي خالطه .

٤- الشرك الأكبر يبيح الدم والمال، والأصغر ليس كذلك .[١]

٥- الشرك الأكبر يوجب العداوة بين صاحبه وبين المؤمنين، فلا يجوز للمؤمنين موالاته، ولو كان أقرب قريب، وأما الشرك الأصغر فإنه لا يمنع الموالاة مطلقاً، بل صاحبه يحب ويوالى بقدر ما معه من التوحيد، ويبغض ويعادى بقدر ما فيه من الشرك الأصغر[٢] .

○ **المطلب السابع: أضرار الشرك وآثاره**

الشرك له آثار خطيرة، ومفاسد جسيمة، وأضرار مهلكة، منها على سبيل الاختصار

---

(١) انظر : كتاب التوحيد، للعلامة الدكتور صالح الفوزان، ص١٢ .
(٢) انظر : المرجع السابق، ص١٥ .

والإجمال، ما يأتي:

١ ـ شر الدنيا والآخرة من أضرار الشرك وآثاره.

٢ ـ الشرك هو السبب الأعظم لحصول الكربات في الدنيا والآخرة.

٣ ـ الشرك يسبب الخوف وينزع الأمن في الدنيا والآخرة.

٤ ـ يحصل لصاحب الشرك الضلال في الدنيا والآخرة، قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا بَعِيدًا ﴾[1].

٥ ـ الشرك الأكبر لا يغفره الله إذا مات صاحبه قبل التوبة، قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[2].

٦ ـ الشرك الأكبر يحبط جميع الأعمال، قال

(١) سورة النساء، الآية: ١١٦.
(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨.

الله عز وجل: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[١] ، وقال تعالى: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[٢] .

٧ ـ الشرك الأكبر يوجب الله لصاحبه النار ويحرم عليه الجنة، فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار»[٣] .

وقد قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾[٤] .

٨ ـ الشرك الأكبر يخلد صاحبه في النار،

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٨٨.
(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٥.
(٣) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات مشركاً دخل النار، ١/ ٩٤، برقم ٩٣.
(٤) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

قال الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾[١].

٩ ـ الشرك أعظم الظلم والافتراء، قال الله سبحانه وتعالى يحكي قول لقمان لابنه: ﴿ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[٢]، وقال سبحانه: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾[٣].

١٠ ـ الله تعالى بريء من المشركين ورسولُهُ ﷺ، قال عز وجل: ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ﴾[٤].

١١ ـ الشرك هو السبب الأعظم في نيل

---

(١) سورة البينة، الآية: ٦.
(٢) سورة لقمان، الآية: ١٣.
(٣) سورة النساء، الآية: ٤٨.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٣.

غضب الله وعقابه، والبعد عن رحمته نعوذ بالله من كل ما يغضبه.

١٢ـ الشرك يطفىء نور الفطرة؛ لأن الله عز وجل فطر الناس على توحيده وطاعته، قال سبحانه: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[١]. قال النبي ﷺ: «**ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه**»[٢]، وفي الحديث القدسي أن النبي ﷺ قال فيما يرويه عن ربه تعالى: «**إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم،**

---

(١) سورة الروم، الآية: ٣٠.

(٢) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، ٢/ ١١٩، برقم ١٣٥٨، ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، ٤/ ٢٠٤٧، برقم ٢٦٥٨.

وحرمت عليهم ما أحللتُ لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أُنزل به سلطاناً»[١].

١٣ـ يقضي على الأخلاق الفاضلة، لأن أخلاق النفس الفاضلة من الفطرة وإذا كان الشرك يقضي على الفطرة فمن باب أولى أن يقضي على ما انبنى على فطرة الله من الأخلاق الطيبة الحسنة.

١٤ـ يقضي على عزة النفس؛ لأن المشرك يذل لجميع طواغيت الأرض كلها؛ لأنه يعتقد أنه لا معتصم له إلا هم، فيذل ويخضع لمن لا يسمع ولا يرى، ولا يعقل، فيعبد غير الله، ويذل له، وهذا غاية الإهانة والتعاسة، نسأل الله العافية.

١٥ـ الشرك الأكبر يبيح الدم والمال؛ لقوله

---

(١) مسلم، كتاب الجنة، باب الصفات التي يعرف بها أهل الجنة وأهل النار، ١/ ٢١٩٧، برقم ٢٨٦٥.

ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله»(١).

١٦ـ الشرك الأكبر يوجب العداوة بين صاحبه وبين المؤمنين، فلا يجوز لهم مولاته ولو كان أقرب قريب.

١٧- الشرك الأصغر ينقص الإيمان، وهو من وسائل الشرك الأكبر.

١٨ـ الشرك الخفي وهو شرك الرياء والعمل لأجل الدنيا يحبط العمل الذي قارنه، وهو

---

(١) متفق عليه: البخاري، كتاب الإيمان، باب ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾، ١/ ١٤، برقم ٢٥، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، ١/ ٥٣، برقم ٢٠.

أخوف من المسيح الدجال؛ لعظم خفائه، وخطره على أمة محمد ﷺ.

فاحذر يا عبدالله الشرك كله: كبيره وصغيره، نعوذ بالله منه، ونسأل الله السلامة والعفو والعافية في الدنيا والآخرة.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الفهرس

كتب للمؤلف

١ — الذكر والدعاء والعلاج بالرقى من الكتاب والسنة	٢١- الفوز العظيم والخسران المبين في ضوء الكتاب والسنة
٢ — الربا: أضراره وآثاره في ضوء الكتاب والسنة	٢٢- بيان عقيدة أهل السنة والجماعة ولزوم اتباعها
٣ — آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة	٢٣- نور الشيب وحكم تغييره في ضوء الكتاب والسنة
٤ — الدعاء من الكتاب والسنة	٢٤- فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري — رحمه الله — (١، ٢)
٥ — حصن المسلم من أذكار الكتاب والسنة	٢٥- النور والظلمات في الكتاب والسنة
٦ — شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة	٢٦- نور التوحيد وظلمات الشرك في ضوء الكتاب والسنة
٧ — قضية التكفير بين أهل السنة وفرق الضلال في ضوء الكتاب والسنة	٢٧- نور الإخلاص وظلمات إرادة الدنيا بعمل الآخرة في ضوء الكتاب والسنة
٨ — شرح العقيدة الواسطية	٢٨- نور الإسلام وظلمات الكفر في ضوء الكتاب والسنة
٩ — من أحكام سورة المائدة	٢٩- نور الإيمان وظلمات النفاق في ضوء الكتاب والسنة
١٠- الجهاد في سبيل الله.. فضله، وأسباب النصر على الأعداء	٣٠- نور السنة وظلمات البدعة في ضوء الكتاب والسنة
١١- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى	٣١- نور التقوى وظلمات المعاصي في ضوء الكتاب والسنة
١٢- العلاج بالرقى من الكتاب والسنة	٣٢- نور الهدى وظلمات الضلال في ضوء الكتاب والسنة
١٣- مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة	٣٣- منزلة الصلاة في الإسلام...
١٤- العمرة والحج والزيارة في ضوء الكتاب والسنة	٣٤- الأذان والإقامة في ضوء الكتاب والسنة
١٥- مرشد المعتمر والحاج والزائر في ضوء الكتاب والسنة	٣٥- شروط الصلاة في ضوء الكتاب والسنة
١٦- ورد الصباح والمساء في ضوء الكتاب والسنة	٣٦- قرة عيون المصلين ببيان صفة صلاة المحسنين
١٧- العروة الوثقى في ضوء الكتاب والسنة	٣٧- أركان الصلاة وواجباتها في ضوء الكتاب والسنة
١٨- طهور المسلم في ضوء الكتاب والسنة	٣٨- سجود السهو.. مشروعيته ومواضعه وأسبابه
١٩- وداع الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته	٣٩- صلاة التطوع.. مفهوم وفضائل وأقسام وأنواع
٢٠- شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة	٤٠- قيام الليل.. فضله وآدابه في ضوء الكتاب والسنة

❖ جميع الإصدارات توزيع مؤسسة الجريسي للتوزيع